بينَ دروبِ الحيَاة

سكينة بادريس

بين
دُروب
الحَياة

سكينة بادريس

إهداء

"

لمن يغوصون في أعماق السطور بحثا عن
عبارة تلامس قلوبهم ، لكل من يحب لغة
الضاد قصائدها وأغانيها ..
هذا الكتاب لكم .

"

مقدمـــــة :

بين دروب الحياة نجد من رمت به الأقدار الى طريق مقفل ، لم يرحمه الزمن ولم تكن الظروف له عونا .. ، بين دروب الحياة نجد طفلا صغيرا يبكي بحرقة على فقدان والديه .. وآخر يبكي من قبح الفقر وقلة الحيلة ...

بين دروب الحياة تخطف الموت أعز الناس على قلوبنا لتترك أرواحنا في متاهة الحياة تتخبط حسرتا وألما واشتياقا ..

بين دروب الحياة نجد من باءت كل محاولات نجاحه بالفشل ليعود إلى البيت محطما و خائبا ..

بين دروب الحياة نجد من حصل على ما يريد لكن ليس ما يحتاج ..

بين دروب الحياة نجد من يبحث عن الحب وحين يجده يضيع منه ضياعاً دون عودة .

بين دروب الحياة ليس كل ما نحلم به يتحقق ولا كل ما نرجوه نناله .. لا تعطينا الحياة شيء إلا مقابل أن نفقد شيء أكبر وأعظم أو أن نتعلم درسا لا ينسى ، بين دروب الحياة ليس هناك إلا نحن لا معين لأنفسنا وأرواحنا سوى نحن ..

بين دروب الحياة كتب على جدرانها ..

" تشاء أنت من الحياة ما ترغب ويشاء الله أن يؤتيك ما كتِب لك " ..

بين دروب الحياة سنعيش ما كتب الله لنا حلواً ومراً إلى أن يأتيكم خبر رحيلنا .

بين دروب الحياة ..

"

فكرةُ الموتِ لن تمنعُ الموت
أبداً ...

"

جالسة أمام النافذة تتأمل النجوم في دياجير الليل ، كالعادة يمنعها الأرق من النوم، لقد كانت متعبة جدا لدرجة كبيرة .. تظل في شرود .. تسيطر على ذاكرتها فكرة واحدة وهي فكرة " الموت " .. يعود بها الزمن إلى شهر قبل ذلك اليوم لتذكر كلام الطبيب لقد كان يوما مشؤوما بالنسبة لها وربما كان العد العكسي لانتهاء حياتها ، لقد كان صعبا جدا .

نور : مرحبا دكتور

الطبيب : أهلا بك .. تفضلي .

نور : شكرا لك .

الطبيب : ألم يحضر أحد من والديك ؟!

نور : لا ، كلاهما يعملان ولم يجدا الوقت .. أرجو أن تكون نتائج التحاليل جيدة .

الطبيب : أعلم أنه سيكون صعبا قليلا أن تفهمي طبيعة مرضك وفي هذا اليوم توجب على والديك الحضور لكن .. للاسف ظروفهما الصعبة !! أهم من حالة ابنتهما .. وأنا لا أستطيع إخبارك نتائج التحاليل إلا بحضورهما معا ...آسف .

نور : حسنا ساهاتف والدي لعله يأتي .

بعد نصف ساعة التحق والد نور بها إلى المستشفى .

الوالد : السلام عليكم .

الطبيب : وعليك السلام ... تفضل .

الوالد : شكرا ... كيف كانت التحاليل أرجو خيرا .

الطبيب : نور تعاني من سرطان الدم ولابد أنك تعلم عن هذا المرض ، فالعالم بأكمله أصبح عرضة للإصابة بهذا الأخير .. نور في مراحل متقدمة من المرض ليس بوسعنا أن نفعل أي شيء غالبا ما يعيش المصاب به حوالي بعض سنوات فقط ..

لقد شعرت نور بعدها أن كل أحلامها انهارت وكل آمالها تبخرت ، لم يعد لها القدرة أن تكمل كل الأشياء التي بدأتها ، وفي النهاية سترحل و تتركها .. لقد نفذ رصيد أيامها وشعرت بالاكتئاب والحزن على حالها ، لقد كانت تعلم أن الحياة لن تمنحها فرصة أن تعيش مرة أخرى .. ظل اليأس والحزن وفقدان الايمان والأمل ينهش أعماقها ، وظلت فكرة ، الموت تهيمن على حياتها وتمنعها من أن تعيش لحظات الفرح وتنعم بها ... لقد كانت فكرة الموت هي الفكرة الوحيدة التي تمنعها من العيش ، تمنعها من تحقيق أحلامها والمضي قدما في حياتها . هي ماتت وتركت خلف حكايتها عبرة ، " فكرة الموت لن تمنع الموت أبدا لكنها ستمنع الحياة " .

"

هكذا الحياة ومضينا ...

"

....لقد افترقنا حين ألزمت الظروف علينا ذلك ، لقد كان لكل منا محبة واحترام لا ينتهي للأخر ، فكلانا يعلم علما يقينيًا أن العلاقات القوية والصداقات الصادقة لا تنتهي أبدا في قلوبنا حتى لو انتهت على أرض الواقع ، لم يمنعنا البعد من أن نقترب أكثر فما جمعنا أعمق وأقوى من أن يمر مرور الكرام ...، هكذا هي " نور " شخص لا يربط العلاقات بمدة ومصلحة ولا تجزم أن البعد والمسافات يحددان مصير علاقة قوية مبنية على أسس متينة ، كانت تجد دائما المحبة نعمة وان حب الناس من حب الله فما أحب الله عبدا إلا وأحبب عبده فيه ... ، لم تعتقد نور يوما أن العهد قد يخان .. فالحياة تغير الناس وتغير طباعهم وصفاتهم وهذا ما حدث ، لا أحد يفي بما وعد ولا شخص يظل على وعده قائما إلا من علم أن وعد الحر دين ، فقد غير العالم تلك المفاهيم التي كانت عليها تبني حياتها ، الزمن والوقت كفيلان بأن يغيرا الأخرين و أن يجعل منهم أناس لا نعرفهم كما أننا نلتقي بهم لأول مرة في هذه الحياة ، التجارب والصدمات .. المال والطمع ... الخيبات والاحزان ...كلها تغير من الإنسان تجعله شخصا آخر ، هو مؤلم حقا .. أن تغير الحياة كل الأشخاص من حولنا حتى من وثقنا يوما انهم لن يتغيروا فتغيّروا حقا .
الحقيقة الوحيد التي ستبقى حيّة بداخل نور هي أن المحبة القوية لا تنتهي بداخلنا أبدا وأن الإنسان الذي أحب من صميم الروح لا يغادر الحب قلبه مهما تعددت خيباته ، فالمشاعر التي تنجبها قلوبنا لا تنتهي ... لا تنتهي بداخلنا أبدا .

"

الموتى هم نحنُ من نعيش مع
الذكرى والصّور ...

"

من قال ان الأموات يموتون قد اخطأ في ذلك ، الموتى يغادرون الحياة تاركين ارواحهم عالقة بداخلنا ، الموتى هم نحن من نفقد أعز الناس ليظلوا بداخلنا أحياء .. تؤلمنا ذكرياتهم ونحزن لرحيلهم من هذه الدنيا .. لتصبح قلوبنا مقبرة لهم ، هكذا أصبحت "نور" حين فقدت زوجها في حادثة سير مفجعة وفي يوم مميز حيث رزقا بمولودهما بعد طول انتظار ، لقد كان يوما أشبه بالحلم بالنسبة لها .. لم تعرف أ تسعد وتفرح بمجيء مولودها أم تبكي وتتحسر على فقدان زوجها . لقد جاء فرد جديد ورحل آخر .

كيف ستعيش بعد كل تلك الاحلام التي بنوها معا فرحل ... رحل الى حيث لا يمكن له أن يعود مرة أخرى .. لم يكن بوسعها سوى البكاء ... فالبكاء هو الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها التخفيف عن آهات الروح ، كيف ستكون حياتها الجديدة دونه !؟.. كيف ستربي ابنهما ؟! .. كيف ستستطيع ان تستمر وحيدة ، وإن سألها طفلها عن ابوه ماذا ستخبره .. حتما سيكره يوم ميلاده . كل الذكريات التي قضوها معا اختزلت في ذاكرتها ذلك اليوم لتذكر كل وعودهما معا وكل ما عاشوه سويا .. كيف لها ان تربي طفلا وأن تستقبل روحا جديدة بعدما خسرت روحها ، تركت نور حالها وأحزانها إلى الوقت .. ليداوي ما جرى ويعيد ترميم الروح ، فأيقنت أن الحياة تستمر حتى لو توقفنا عند عند تاريخ وزمن معين .

"

النية ، على نياتكم ترزقون

"

فخورين و معتزين بأسود بلدنا .. هو ليس نجاحكم انتم فقط ... هو ليس فرحكم انتم فقط هو فرح شعب، فرح أمة بأكملها .. لقد أحييتم تلك المغاربية التي بداخلنا ونسيناها و وحدتم بين الدول العربية وبهتانا واحتفاء نا بكم كتبنا تاريخاً يحكي عنه الصغير قبل الكبير .. هي ليس معجزة هي ثمرات لمجهود بذلتموه لسنوات .. هو ذكاء مدرب بارع التخطيط .. هو حب شعب تعالت أصوات هتافهم الملعب .. هو تشجيع أهل ودعوات كل من رفع راية المغرب عاليا يقول " الفوز عربي مغربي لا محالة " .. هو نجاح عربي مخلد في التاريخ لن ينسى ... لن ينسى أبدا . لقد أكدتم على أن لكل شخص نصيب من النجاح إذا اجتهد و أثبتم أن كل شخص قادر ان يحقق ما يريد إذا كافح . لقد رفعتم علم فلسطين ، بحب واحترام كبيرين أظهرتم انتماءكم واعتزازهم بديننا الاسلامي السمح ، و أبنتم لكل من جاهدوا أن يمسوا ديننا الحنيف بأقبح الصفات اننا بالله نؤمن وأنه ما خاب عبد علق قلبه وروحه بالله والله لا يرد مسلما مؤمنا مجتهدا ومحبا لدينه وأهل دينه .. أعين العالم كله متجهة صوب بلدي ، صوب البلد العربي الذي حقق انجازا في التاريخ سيذكر .. انتم مفخرة البلاد العربية أنتم الأبطال ... أنتم الاسود .

" النيّــة .. وعلى نيّاتكم ترزقون "

"

الكمال لله كفانا نبشا في عيوب الآخرين ...

"

لم نخلق كاملين ولا مثاليين .. فمن أنت لتتنمر على هيئة شخص ؟!

ليس فينا من هو كامل تام وملاك .. للّه تعالى الكمال والتمام، لا نحن بجمال يوسف ولا بدهاء البني وفطنته وأخلاقه .. فلما الكبر ولما التنمر والتعليق ؟!

في العادة لا نحمد الله على ما منحنا من صحة وسلامة إلى أن نرى مريضا طريح الفراش او شخصا فارق الحياة ليذكرنا أن الحياة فانية ونحن زوار فيها ننتظر نعينا .. ونمضي فيها نجمع ضيوف جنازتنا ودعوات صادقة بالرحمة على أرواحنا ، يكفي أن نرى كيف يعيش الاعمى والأصم لنعرف قيمة نعمتيّ البصر والسمع .

جميعنا خلقنا من رحم الحياة لا نعرف شيئا لم يخلق فينا شخص عالم بكل الأمور ودارس لكل العلوم .. لما لا ننظر الى هذه الأشياء من زاوية اخرى ؟! كيف ستكون حياتنا لو كنا فاقدين لأحدى النعم التي ننعم بها الأن ؟!

لما لا نجرب لوهلة أن نضع أنفسنا محل ذلك الشخص الذي يعاني من عاهة او مرض .. ربما ستتغير أشياء واشياء في نظرنا إذا طرحنا أسئلة كما هذه وقد نتغير نحن أيضا بعد ذلك .. فلنكن صريحين قليلا أقوياء هم من يستمرون دون اكثرات في هذا العالم بالرغم من عاهاتهم وأمراضهم ... لقد أصبح كل من حولنا يعاني من مرض أخطر وأقرف وهو " التنمر " .

"

قيمة الإنسان لا تقاس

"

قيمة الإنسان ليست في ما يرتدي او في يملك .. وعمر الإنسان لا يحدد مستواه الثقافي والأخلاقي ، قد نجد رجلا في أواخر عمره ولا يعرف كيف يتعامل مع الأخرين باحترام ، يحُسب المال والنساء وبلوغ المنصب دون تعب جدارة ...هم الدنيا بأكملها ، وقد نجد في المقابل من تقدر أخلاقهم ومبادئهم وصفاتهم وأفكارهم بالذهب .. يمضون حياتهم بحثا عن من يفهمهم فيتعثرون بمن يثبتون لهم في كل مرة أن الحياة لن تمنحهم ذلك الشخص الوهم مثلهم .

العمر لم يكن يوما ذلك الحاجز والعائق الذي يمنع المرء من أن يرتقي بنفسه من تفاهة الآخرين وأغراض الدنيا ونزوات النفس .. الى مستوى ارقى مما عليه الأخرون .. العمر لم يكن يوما مقياساً لقيمة المرء وقدراته وافكاره ودوافعه .

هناك من ينضجون بالتجارب والخيبات رغما عن سنهم ورغما عن أنفسهم فإن لم تقويهم الحياة لمواجهتها حتما ستقضي عليهم فور كل تجربة سيسقطون مهزومين أمامها .. من الأفضل أن لا نسأل الاخرين عن عمق ما شعورا في لحظة تغيرت ألوان وجوههم وشحبت شفاههم .. بسبب كلمة أو تجربة عاشوا فتذكروا مرارتها ..

من الأفضل أن لا نسأل الآخرين عن حياتهم ، تجاربهم .. ونحن نرى كيف حالهم وما هي أفكارهم وعمق ردودهم وقساوة قراراتهم واختياراتهم .

فالعمر لم يكن يوماً مقياسا .. وقيمة المرء لم تكن يوما مرهونة بما يملك .

"

في العالم الإفتراضي ليس هناك ...

"

في العالم الافتراضي ليس هناك امرأة قبيحة فكلهن فائقات الجمال وكلهم شهام .. ، الجميع يطالب بالحق ويدعم العدل والمساواة .. الجميع يطالب بالديمقراطية ، ليس هناك غباء ولا فراغ ذهني ، الكل مثقف ويحمل كتابا ويرتدي رداء التحضر ، الكل رومانسي والعالم وردي والحكايات جميلة . الكل يحب فعل الخير والكل شيوخ وابناء عز ، الكل يعيش في حفاوة ونعيم ولا وجود للفقر ، في العالم الافتراضي لا وجود للقبح والخيانة والظلم الجميع يفترض صورة وعليها يبنون حياتهم .. لكن الواقع بعيد كل البعد عن العالم الذي يسعون الانتماء اليه فالحقيقة التي تعيش معها المجتمعات أن الواقع المر يتوارى خلف ما أصبحت تذيعه وسائل التواصل الاجتماعي ... أ ليس فظيعا ؟ ! أصبح كل شيء يباع ويشترى ... حتى المشاعر ، العلاقات تنبني على الكذب والتصنع .. ويسألون أين الدوام الموعود !! ، هذا يخطف قصيدة الى محبوبته وهي ترسل صورا مسروقة ليست لها وذاك محلل نفسي وعالم بخفايا الأمور وتلك أستاذة في الأدب والأخلاق ..و ملكة جمال . شخصيات .... نراها وفي الواقع لا نعرفها !! ..

من انتم ؟

"

التغيير لا يأتي بين ليلة وضحاها ..

"

هي مسألة تغيّر أرقام ...
التغيير لا يطرأ بين ليلة وضحاها ، ونهاية العام لا تعني نهاية حياة وبداية أخرى .. نزداد عمرا على أمل أن يمدنا الله بالعمر المديد .
التغيير لا ينتظر يوما أو ليلة ، التغيير هو اللحظة التي ندرك فيها أنه وجب علينا التغير .
نهاية العام ليست نهاية أوجاع ..
نهاية العام ليست نهاية خيبات ..
نهاية العام ليست نهاية احباطات وفشل ..
هي مسألة تغيّر أرقام ..
نستيقظ في اليوم الموالي كما باقي الأيام ونكمل الحياة بحلوها ومرها يوم جديد في عام جديد أين الغريب ؟!
بدلا من ان ننتظر بداية العام الجديد كي نبدأ حياة جديدة كما يظن البعض .. فل ننظر لأنفسنا ، لننظر إلى الشوائب التي تعكر صفو حياتنا ، الصفات القبيحة المزعجة فينا التي يشتكي منها الجميع ولنغيّرها ....
التغيير لا يأتي دفعة واحدة في لحظة كنّا فيها متحمسين لفكرة أن نصبح كما نحب بالشكل الذي يعجب الأخرين .. التغيير يأتي بالتدريج ومع الوقت حين نبدأ بفهم أنفسنا .. ما نحب وما نكره ما ينفعنا وما يضرنا .
التغيير غير مرهون ببداية سنة جديدة .

"

المال لا يشتري السعادة

"

المال ليس كل شيء في الحياة ولا هو الحياة بأكملها .
الحياة المرهونة بالمال والسعادة المرتبطة به ليست سعادة سرمدية أبدية ولا تدوم طويلا ولا تهني ا المشاكل ولا تعالج العلل .
صحيح ، صحيح أن المال لا يشتري السعادة لكنه يشتري حياة بالشروط الضرورية للعيش .
فكم عدد الاطفال الذي يعانون من المجاعة ويموتون يوميا في مجتمعاتنا العربية ... وكم عدد الأسر التي تبيت في الشوارع والخيام لا تجد ماوى يأويها .. وكم من ضحايا حروب أخربت بيوتهم وحياتهم وظلوا من بلد لأخر يبحثون عن تحقيق مطلب واحد .. مطلب واحد فقط وهو العيش .
المال قِوام الأعمال وقوام الحياة ومطلب لابد منه في هذه الحياة على الأقل ليعيش المرء حياة عادية خالية من إفراط في التفكير ، من قلق وشكوى دائمة .
المال لا يشتري السعادة لكنه وسيلة لبلوغ جزء منها ، فلنكن واقعيين قليلا المال أساس الحياة الطيبة وجزء من سعادة المرء ومطلب ضروري وجب أن يتحقق في حياة كل إنسان يعيش على هذه الأرض .

نهاية

الكتاب ...

سكينة بادريس

شكراً

على

القراءة

سكينة بادريس